عقيدة التوحيد والأدلة الكونية على وجود الله تعالى

د. ناصر صدقي محمد الهنقاري ❁

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم؛ وبعد:

فمنذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض في أي مكان وزمان، وفي أي ظرف من الظروف لم يخل من عقيدة – فاسدة كانت أو صحيحة– ، فهو مضطر إلى الإيمان بقوة غيبية ذات قدرة لا تعجز، وسلطان لا يغلب ولا يقهر، يفزع إليها عند الشدائد ويتقرب إليها بالطقوس المختلفة لتدفع عنه الشرور وتقيه المهالك– بزعمه– وتلك القوة تكون كالقوانين التي تضبط غرائزه، وتنظّم سلوكه وتحدد اتجاهاته، وتهديه للكمال الذي خلق مستعدا له، فجعل من مظاهر الطبيعة المختلفة آلهة له يلجأ إليها وقت الشدائد، كالشمس والقمر والنجوم، وبعض الحيوانات والنار وغيرها[1].

والإنسان بفطرته يشعر بضعفه وحاجته إلى معبوده وإعانته ورعايته وحفظه، فهو يطلب التعرف إليه بما يجب أن يقوّى الصلة بين العابد والمعبود من أنواع القربات فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين وليعلموا

❁ عضو هيئة تدريس بقسم الدراسات الإسلامية– كلية الآداب– جامعة الزاوية

[1] عقيدة المؤمن– أبو بكر الجزائري ١٦–٢٠.

الخلق العقيدة السليمة وهي أن لا إله إلا الله فهو الخالق والمحيي والمميت، فهناك من يتبع الرسل وهناك من يعارضهم ويبقى على عقيدته الفاسدة وعلى الرغم من ذلك فهم– أي الكفار– معترفون بوجود الله ولكن لم يرتضوا ترك أصنامهم وبرروّا ذلك بقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[1].

وجاء الإسلام فأبطل ما كان سائدا عند العرب من عبادة الأوثان من دون الله، وقرر عقيدة التوحيد المطلق لله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[2].

فالتوحيد هو القاعدة الأولى في الإسلام التي يجب أن يؤمن بها قلب المسلم وينطق بها لسانه بقوله " أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " فكلمة "الله" هو الاسم الذي يطلق على الخالق عز وجل، وكلمة (إلا الله) إثبات لعبادة المعبود بحق وهو الله رب العالمين[3].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى في خلقه أن يكون للعقائد سلطان على الأعمال البدنية، وفيما يكون في الأعمال من صلاح أو فساد فإنما مرجعه

[1] سورة الزمر الآية ٣؛ وانظر عقيدة المؤمن ابوبكر الجزائري ١٦-٢٠.

[2] سورة البقرة ١٦٣.

[3] أصول العقيدة الإسلامية، د. ناصر الهنقاري. بشير الفرد، المكتبة الجامعية الطبعة الأولى ص٨.

إلى فساد العقيدة وصلاحها. وقد قسمت البحث إلى مبحثين، في كل مبحث أربعة مطالب وهي على النحو التالي:

المبحث الأول:

تعريف العقيدة ومزايا عقيدة الإسلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول/ تعريف العقيدة وأهميتها.

المطلب الثاني/ فوائد التوحيد.

المطلب الثالث/ مزايا العقيدة الإسلامية.

المطلب الرابع/ أثر الإيمان في حياة الفرد.

المبحث الثاني: الأدلة الكونية والعلمية على وحدانية الله تعالى؛ وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول/ دليل الإلزام العقلي.

المطلب الثاني/ دليل الإمكان في الكون.

المطلب الثالث/ دليل الإتقان في الكون.

المطلب الرابع/ دليل التغير والسببية.

وقد سلكت في هذا البحث منهجا يعتمد على الدليل من القرآن الكريم لأنه يتعلق بالعقيدة التي لا يجوز فيها الاحتمال،وإنما لزم الأمر أن تكون الأدلة على كل ما نذكر من القرآن الكريم وبالله التوفيق.

المبحث الأول

تعريف العقيدة ومزايا عقيدة الإسلام

المطلب الأول: تعريف العقيدة وفوائد التوحيد

العقيدة هي الأمور التي يعتقدها أهل الإسلام ويجزمون بصحتها[1]. وتعرف أيضا بأنها: مجموعة من قضايا الحق البدهية المسلّمة بالعقل والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازما بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح، أو يكون أبدا[2].

أهمية هذا العلم:

إن علم العقيدة من أجلّ العلوم وأشرفها، لأنه يتعلق بمعرفة الله تعالى، والتصديق بما أخبر به في كتابه العزيز، كما في قوله تعالى ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[3].

[1] الجواهر الكلامية ٢.

[2] عقيدة المؤمن ١٥.

[3] سورة البقرة ١٧٧.

وقضايا الإيمان التي جاء بها الرسل على مدى التاريخ الإنساني كمبادىء لابد منها حتى تبنى عليها جميع قضايا الدّين بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1].

وجميع الأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان ابتغاء وجه الله موقوف قبولها عند الله عز وجل على صحة العقيدة لأن الانحراف عنها انحراف عن الإيمان والانحراف عن الإيمان هو الكفر بالله تعالى والله لايقبل من كافر عملا، قال تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[2].

ويكفي لإدراك الأهمية الكبرى لهذا العلم أن قضاياه هي الفاصلة في الحكم على الإنسان بالإيمان أو الكفر والفسوق، وبالنجاة أو الهلاك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[3].

[1] سورة الأنبياء ٢٥.
[2] سورة البقرة ٢١٧.
[3] سورة النساء ٤٨.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[1].

وقال جمهور العلماء إن هذا العلم يجب تعلّمه وتعليمه على الرجل والمرأة على حد سواء، وواجب على كل مربّ وولي أمر أن يهتم بتنشئة الأطفال على فهم مبادئه على حسب قدرته العقلية والنفسية [2].

المطلب الثاني: فوائد التوحيد[3]

التوحيد الخالص من الشوائب، الصادر من القلب تتبعه جميع الفضائل المتعارف عليها، والتي منها:

١- كلمة التوحيد ترسخ في نفس قائلها أن لامعبود ولامحيي ولاممييت ولا رازق ولانافع ولاضار إلا الله تعالى.

٢- يستفيد المؤمن من عقيدة التوحيد الاستقلال والحرية، فليس لأحد عليه سلطان.

---

[1] الحج ٣١.

[2] تبسيط العقيدة الإسلامية حسن أيوب ٩-١٠.

[3] أصول العقيدة الإسلامية – مرجع سابق ص٥٤.

٣- **يستفيد المؤمن من هذه العقيدة صفتي الأنفة والعفة باعتقاده أن لا رازق إلا الله عز وجل، لقوله تعالى:** ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

وكذلك يستفيد المؤمن من هذه العقيدة صفة الشجاعة وعدم هيبة الموت لأن الذي يملكه هو الله وحده، وبذلك ترتفع نفسه إلى العزة والإباء والاستشهاد في سبيل الحق، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[2]، **وعلى كل حال فالإسلام هو دين المنطق والعقل فلا يأمر معتنقيه بعقيدة إلا بعد أن يعرض البراهين العقلية على صحتها، ولا يهاجم أخرى إلا بعد أن يبين ضعفها وبعدها عن الصواب.**

فتعدد الآلهة مثلا يجعل البشر عبيدا لآلهتهم، ولذا يقع على كاهل الإنسان من جرّاء تعدد الآلهة من الأعباء ما تنوء به استعداداته لتقديم الهدايا والقرابين للآلهة.

وقد خاطب نبي الله يوسف– عليه السلام– صاحبيه في السجن قبل أن يفسر لهما رؤياهما بقوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

---

[1] سورة العنكبوت ٦٢.
[2] سورة آل عمران ١٤٥.
[3] سورة يوسف ٣٩-٤٠.

فذكر القرآن الكريم الفرق العظيم بين عبادة إله واحد يخضع الجميع لحكمه وسلطانه ومايستدعي ذلك التوحيد من التخفيف عن كاهل الإنسان من التضحيات المرهقة والشعائر الوهمية، كما أن هذا التوحيد يوحّد البشرية، ويقضي على كثير من أسباب الخلاف الذي نشأ بسبب اختلاف المعتقدات، ثم يقرر سبحانه وتعالى أن التعدد ينتج عنه حتما الاختلاف والخلاف الممقوت، فقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

ولايكتفي ببيان هذا الفساد وصفا يرتفع به إلى أعلى مراتب الإقناع، فقال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[2].

المطلب الثالث: مزايا العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية مزايا لاتتوافر لغيرها من العقائد، وهي على النحو التالي:

١- الوضوح:

فهي عقيدة واضحة، لاتعقيد فيها ولاغموض، ترشد إلى وجود خالق عظيم وراء هذا العالم البديع، فقد خلق الله كل شيء بقدر، وقدّر كل

[1] سورة الأنبياء ٢١-٢٢.

[2] سورة المؤمنون ٩١.

شيء تقديرا، لاشبيه له ولاضد ولاند، سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[1]، وهذه العقيدة الواضحة مقبولة عقلا فليس فيها ما في عقائد اليهود ولاالنصارى من قولهم اعتقد ولاتنتقد، واعتقد وأنت أعمى[2].

٢- أنها عقيدة الفطرة:

فهي ليست غريبة عن الفطرة، ولامناقضة لها، بل هي مطابقة لها تماما كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3]. وقوله –ﷺ– "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه"[4]؛ أما الأديان الأخرى من يهودية أو نصرانية أو مجوسية فهي من تلقين الآباء، وقد أصابها التحريف والتغيير.

٣- الثبوت:

فهي عقيدة ثابتة محددة لاتقبل زيادة ولا نقصانا، ولاتحريفا ولاتبديلا، فمن أحدث فيها شيئا فهو رد، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[5]، وقال الرسول– صلى الله عليه وسلم– من

---

[1] سورة البقرة ١١٦.
[2] الإيمان والحياة ؛د.يوسف القرضاوي ٤٣.
[3] سورة الروم٣٠.
[4] صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق صلاح عويضة، دار صلاح الدين، القاهرة، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ١٥٦/١٦،ح:٢٦٥٨/٢٢.
[5] سورة الشورى ٢١.

أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ"[1]، وعلى هذا فكل البدع والأساطير والخرافات التي درست في بعض كتب المسلمين أو ترددت على ألسنة بعضهم الآخر ولم يكن لها دليل شرعي فهي مردودة على أهلها.

٤- أنها عقيدة مبرهنة:

أي تقوم على الحجة والبرهان ولاتكتفي بالإلزام الصارم المجرد في تقرير قضاياها، ففي اليهودية اعتقد ولاتنتقد، اعتقد وأنت أعمى، آمن ثم اعلم، أغمض عينيك ثم اتبعني، الجهالة أم التقوى[2]...، بل في القرآن الكريم طلب للدليل والبرهان على كل دعوة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[3]، **وكذلك لاتكتفي بمخاطبة القلب والوجدان، والاعتماد عليها أساسا للاعتقاد، بل لابد من الحجة الواضحة والتعليل البيّن الذي يأخذ طريقه إلى القلوب، فمثلا في قضية الألوهية نجد الأدلة عليها من الكون،ومن النفس، وجعل القرآن الكريم ذلك حجة على المكذبين والمعارضين فقال تعالى:** ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[4].

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فهو مردود٢/٩٥٩، ح: ٢٦٩٧؛ وصحيح مسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ومحدثات الأمور ٣١٣٤٣، ح: ١٧١٨/١٧.

[2] الإيمان والحياة، مرجع سابق ٤٤.

[3] سورة البقرة ١١١.

[4] سورة فصلت ٥٣.

وكذلك في قضية البعث يدلل الله تعالى على إمكانية وقوعه بقوله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾[1]. **ثم يدلل عز وجل على حكمته بالعدالة الإلهية في إثابة المحسنين وعقوبة المسيئين فيقول تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾[2].

٥- الوسطية:

فهي عقيدة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط، فهي وسط بين الذين ينكرون كل ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسهم.

وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من إله، بل يحلون روح الإله في الملوك والحكام، فقد رفضت هذه العقيدة التعدد الجاهل، والإشراك الغافل، وأثبتت للعالم إلها واحدا، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[3].

---

[1] سورة الحج ٥.

[2] سورة النجم ٣١.

[3] سورة المؤمنون ٨٤-٨٩.

فهي عقيدة وسط في صفات الله تعالى،فليس فيها الغلو في التجريد الذي يجعل صفات الله تعالى لا معنى لها، ولا توحي بخوف ولا رجاء، ويقابل هذا أنها خلت من التشبيه والتجسيم الذي وقعت فيه العقائد الأخرى كاليهودية التي جعلت الخالق كأحد المخلوقين، ووصفه بالنوم والتعب والراحة والتحيز والمحاباة والقسوة، ولكن هذه العقيدة تقرر أن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [1] **وهي وسط بين التسليم المجرد الذي يأخذ بعقائد الآباء والأجداد بالوراثة على نحو قوله تعالى:** ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]، **وبين الذين يرددون ضرورة معرفة حقيقة كل شيء حتى الألوهية والربوبية مع عجزهم عن معرفة حقيقة أنفسهم، فقال تعالى**﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[3]، **وقال أيضا**﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[4] **وهي وسط أيضا في علاقتها بالعقائد الأخرى، فقال تعالى:** ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ

[1] سورة الشورى ١١.
[2] سورة الزخرف ٢٢.
[3] سورة الروم ٨.
[4] سورة الأعراف ١٨٥.

أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

وقال أيضا: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[2].

ولاتقبل التهاون في موادة المحاربين الذين يحاربون الله ورسوله فقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]، **وكذلك لاتمنع يد البر عمن يخالفها ولم يعتد عليها، قال تعالى:** ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[4].

المطلب الرابع: أثر الإيمان في حياة الفرد

---

[1] سورة الشورى ١٥.
[2] سورة يونس ٤١.
[3] سورة المجادلة ٢٢ .
[4] سورة الممتحنة ٨ .

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1] **وقال تعالى:** ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

وقد نفى الله تعالى الوساطة بينه وبين خلقه فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[3]، **وقال تعالى:** ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[4]، **وقال تعالى:** ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[5].

ويؤكد ذلك قول الرسول– صلى الله عليه وسلم– في أحاديث كثيرة منها:

---

[1] سورة الاسراء ٧٠.

[2] سورة البقرة ٣٠.

[3] سورة البقرة ١٨٦.

[4] سورة البقرة ١١٥.

[5] سورة المجادلة ٧.

- الحديث القدسي الذي يقول الله فيه: "يابن آدم خلقتك لنفسي فلاتلعب وتكفّلت برزقك فلا تتعب، يابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كلّ شيء وإن فتّني فاتك كلّ شيء"[1].

- والحديث القدسي الآخر الذي قال فيه رب العزة: " أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرّب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرّب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني ماشيا أتيته هرولة"[2].

ولما كّرم الله تعالى الإنسان رفع مكانه في الملأ الأعلى فأسجد له الملائكة الكرام فقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[3].

وتمرد إبليس وحسد آدم على تلك المكانة واتخذ منه موقف التحدّي والعداء فكانت عاقبة أمره أن قال الله له: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾[4].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣٤٣/٣.

[2] صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، ١٧٩/١٧، ح: ٢٦٧٥/٢..

[3] سورة ص ٧١-٧٣ .

[4] سورة ص ٧٧-٧٨.

أما مركز الإنسان في هذا العالم المادي فهو موقف العظمة لأنه خليفة الله في هذه الأرض، بنص القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1]، **فسخر الله له كل هذا الكون الفسيح: قال تعالى:** ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[2].

وقال أيضا: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[3].

وقال أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[4].

وإنما تبوأ الإنسان هذه المكانة المرموقة لما فيه من نور الله تعالى، الأمر الذي جعله مؤهلا ومستعدّا لحمل الأمانة الكبرى، وهي أمانة التكليف

[1] سورة البقرة ٣٠.
[2] سورة ابراهيم ٣٢-٣٤ .
[3] سورة الجاثية ١٢-١٣
[4] سورة لقمان ٢٠.

والمسؤولية، والتي اثقلت السماوات والأرض والجبال من حملها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[1]. **هذا الاستعداد في الإنسان هو الذي جعله خليفة لله في الأرض بعد أن يسّر له سبل الهداية، وأزاح عنه كلّ الأعذار قال تعالى:** ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾[2] **وقال تعالى:** ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[3]، **وقال تعالى في شأن النفس التي بين جنبي الإنسان:** ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[4].

ثم بين سبحانه وتعالى أن النفع والضر إنما هو للإنسان نفسه، ولايصل شيء منه إلى الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[5].

ثم إن الإسلام سما بالإنسان فاعترف به كله روحا وجسدا، وعقلا وقلبا وإرادة ووجدانا، فلم يضع عنه إصرا ولا غلا، ولم يحرّم عليه طيبا، ولم يغلق في وجهه بابا من أبواب الخير، ولم يجعل بينه وبين عباده حجّابا ولاوسطاء فيدعو الإنسان ربه مباشرة فيقول الله عز وجل لبيك عبدي ويستجيب له سبحانه وتعالى علوا كبيرا.

[1] سورة الأحزاب ٧٢.
[2] سورة القيامة ١٤-١٥.
[3] سورة الكهف ٢٩
[4] سورة الشمس ٩-١٠.
[5] سورة الإسراء ٧.

المبحث الثاني

الأدلة الكونية والعلمية على وحدانية الله تعالى

المطلب الأول: دليل الإلزام العقلي

ويقوم هذا الدليل على أربعة أصول هي[1]:

أ – أن الوجود يقابله العدم، فلا ثالث لهما، ولابينهما، فهذان الاثنان إن وجد أحدهما انتفى الآخر تلقائيا، وإذا انتفى أحدهما انتفى وجود الآخر تلقائيا.

وإذا تساءلنا أيهما الأصل؛ الوجود أم العدم؟!!! فللإجابة على ذلك لابد أن نسلك مسلك افتراض أن أحدهما هو الأصل ثم ننظر هل يتعارض معه ما يناقضه؟ وعلى هذا فلنفترض أن الأصل لكل ما يخطر في الفكر وجوده هو العدم، ومعنى العدم نفي ذات ما يخطر بالبال ونفي صفاته، فلا ذات ولا قوة، ولا إرادة، ولا علم، ولا أي شيء من ذلك.

وبحسب هذا الافتراض نتساءل كيف استطاع هذا العدم أن يتحول إلى الوجود؟، ألسنا نشعر بوجود أنفسنا، ونرى الموجودات الكثيرة من حولنا، والعدم كما عرفناه هو النفي العام لكل ما يخطر بالبال، فكيف يأتي من هذا العدم العام ذوات وصفات وقوة فتنطلق بنفسها من العدم إلى الوجود، وانطلاقها لا يكون إلا بقوة، وهذه القوة يفترض أن تكون عدما أيضا !!!.

---

[1] العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة١١، وما بعدها بتصرف، روح الدين الإسلامي ١٦٨ وما بعدها، عفيف طبارة ص٦٥ ومابعدها بتصرف.

فمن البديهي ألاَّ يتحول المستحيل بنفسه إلى وجود، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

أي هل انتقلوا من العدم إلى الوجود من غير خالق، أم هل كانوا هم الذين خلقوا لأنفسهم هذا الانتقال، ولاشك أن كلا من هذين الافتراضين مستحيل[2].

الموجودات التي لا حصر لها، فعلى المؤمن أن يفهم حتما أن الأصل هو الوجود، ثم إن ما كان هو الأصل بين شيئين متناقضين لا يحتاج وجوده إلى تفسير أو تعليل لأنه إذا احتاج إلى شيء من ذلك لم يكن أصلا، وبهذا الاستدلال يتضح لنا ما يلي:

- ❖ الأصل في الله تعالى هو الوجود.
- ❖ أن الأصل لا يتطلب في حكم العقل سببا ولا تعليلا.

ب- إذا كان الوجود هو الأصل فهل له بداية ونهاية ؟!!، وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من معرفة أن ما كان وجوده هو الأصل لا يصح عقلا ولا عادة أن يكون لوجوده بداية، لأن ما كان لوجوده بداية يحتاج إلى سبب يوجده، وهذا ينتفي في حق ما كان أصلا لغيره من المتغيرات والحوادث.

وكذلك ما كان وجوده هو الأصل لايمكن أن يلحقه العدم لأن كل زمان لاحق يفترض أن يطرأ فيه العدم على ما أصله

[1] سورة الطور ٣٥

[2] الجامع لأحكام القرآن – القرطبي١٩/٣٣٢

الوجود، ولذلك يستحيل عقلا أن يطرأ العدم على وجود الأصل الذي لاينتهي، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[1]، **وقوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[2].

الأصل الثالث:

إن الأصل في الوجود العدم، ثم وجد الوجود، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3]، **وقال عز وجل:** ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[4].

فهكذا تبدو لنا التغيرات الكونية والشكلية في كل شيء، فمن موت إلى حياة، ومن حياة إلى موت، وكل ذلك لا يعلل في عقولنا، وفق تحمّل سر هذه التغيرات الكثيرة المتعاقبة.

وبناء على هذا نقول لو كان الأَّصل في هذه الموجودات المعروضة على حواسنا هو الوجود لم تكن عرضة التحول والتغير والزيادة والنقص والبناء

[1] سورة الفرقان ٥٨.
[2] سورة الحديد ٣.
[3] سورة الأنبياء ٣٠ .
[4] سورة فصلت١١.

والفناء ولم تحتج صور وجودها وتغيرها إلى أسباب ومؤثرات، فلزم عقلا أن يكون سبب إيجادها واجب الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى، ومن خلال هذا الأصل يتبين لنا:

أ- أن الأصل في هذا العالم هو العدم فوجوده حادث فهو إلى زوال.

ب- أن الأصل في هذا الوجود أنه محتاج إلى من أحدثه،فلابد لكل حادث من محدث، ولا يكون ذلك إلا الله رب العالمين.

الأصل الرابع:

ويقوم هذا الأصل على ثلاثة معطيات؛ وهي:

- أن الوجود من حيث هو يجب عقلا أن يكون هو الأصل.
- أن ما كان وجوده هو الأصل استحال أن يكون له ابتداء، وأن يصل الى الانتهاء.
- أن الكون كله حادث فله بداية وله نهاية،لأنه محدث، وكل محدث إلى زوال.

ومن خلال هذه الحقائق يجب أن نعرف ما يلي:

أ- لابد عقلا من وجود موجد لكل الموجودات يكون وجوده أصلا، وعدمه مستحيلا.

ب- أن الأصل في جميع المخلوقات من سماوات ونجوم ومجرات وأحياء برية وبحرية هو العدم.

ج- أن الموجد لكل الموجودات لابد أن يكون وجوده قبلها وبعدها،وذلك هو الله رب العالمين، فوجوده أزلي سرمدي،ليس له بداية ولا له نهاية، فهو أول لاشيء قبله،وهو آخر لاشيء بعده.

المطلب الثاني: دليل الإمكان في الكون

من خلال ملاحظاتنا لجميع الموجودات من حولنا ندرك أن كل شيء منها قد يزول في أي وقت من الأوقات مهما كبر أو صغر، وقد يستمر طويلاً أو قصيراً.

فمن الناحية العقلية قد يستمر الليل سرمدا إلى يوم القيامة، وقد يستمر النهار كذلك، وقد يخلق الله تعالى ذكورا أبدا أو إناثا أبدا، وإن كانت الحكمة تقتضي ما عليه الوجود الآن، من ذكور وإناث وليل ونهار لتستمر الحياة، وهذه الحكمة لا تكون إلا من حكيم عليم، فإن العقل قد يحكم بشكل قاطع أن هذا التخصيص والغاية من التقسيم الكوني شيء محدد، والواقع خلاف ذلك، وإنما يجب أن يكون كل شيء وفق إرادة قادر مقتدر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾[2]، قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ

[1] سورة القمر ٤٩-٥٠ .
[2] سورة الفرقان ٤٥.

تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[1].

فهذه الصور والأنظمة البديعة والأوضاع الدقيقة في الكون كلها تدلنا على وجود الخالق الباري سبحانه وتعالى فتبارك الله رب العالمين.

المطلب الثالث: دليل الإتقان في الكون

من أعظم ما يدهش الإنسان مايوجد حوله في الكون من مخلوقات عظيمة من أرض وسماء وجبال وبحار فما من شيء من ذلك إلا وهو مركب أحكم تركيب يؤدي به إلى غايته التي خلق من أجلها باعتباره جزءا من وحدته التي هو أحد أجزائها أو باعتباره فردا في مجموعة هو واحد من نوعها أو باعتباره مجموعة هي واحدة من أجناس مجموعات كثيرة كل ذلك في جملة هذا الكون الذي تنظمه وحدة مهيمنة لايستطيع أي جزء منه أن يتحرر منها أو أن يفلت من قانونها.

فهذا الإتقان العجيب في هندسة الكون في مخطط سمائه وأرضه، وبره وبحره، وجامده ومتحركه،ومافي السماء من نجوم وكواكب سيارة ومجرات عظيمة يسير كل منها في خط سير محدد ويسبح في فلك

[1] سورة الواقعة ٦٣-٧٠.

مخصص له ويتجلى بالنظر في ذلك إتقان الخالق عزوجل ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

وكذلك ما يدعو إلى النظر والتأمل ما عليه خلق الإنسان من تراكيب عجيبة، وأجهزة دقيقة كلها تقع بين إثارة القلب واستجابة العقل، وحركة الأعصاب، وجريان الدم في العروق، وما إلى ذلك من دلائل قدرته عز وجل قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2]، ولم يحجم المولى سبحانه وتعالى الإنسان عند قدر معين من المعرفة، فأمر بالنظر في كل شيء حتى أنه سبحانه وتعالى سيري الإنسان عجائب قدرته في كل شيء قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[3].

وكذلك مما يدل على إتقان الخالق البديع تلك المجموعات الكبرى في عالم الحيوان على اختلاف أنواعها فمنها الطائر ومنها الزاحف ومنها السابح ومنها الماشي،إلى غير ذلك على اختلاف أجناسها وطبائعها وغرائزها وخواص معيشتها.

[1] سورة يس ٤٠.
[2] سورة الذاريات ٢١.
[3] سورة فصلت ٥٣.

وكذلك تكوين الأرض ببحرها ويابسها وجبالها، ووديانها وسهولها وصخورها، ورمالها ومعادنها، فكلما تقدم العلم بتقدم أسبابه تعرف الإنسان على دقائق جديدة من إتقان صنع هذه الموجودات، وازداد المؤمنون إيمانا بالخالق المبدع ثم إننا نرى ترتيبا متقنا محكما في أي مركب من المركبات إلا ويستدعي ذلك في أذهاننا التفكير لمن أتقنه ورتّبه هذا الترتيب المحكم.

ذلك أن احتمال الإتقان الموافق للحكمة في مركبات تزيد أجزاؤها على عشرة أجزاء هي ذات نسبة ضئيلة بالنظر للاحتمالات الأخرى غير المتقنة التي تفوق كثرتها الحصر، والتي يمكن أن تتألف هذه المركبات على وفقها، ومتى لاحظت عقول البشر مركبات على وجه الإتقان والحكمة فإنها لاشك ستفترض أن متقنا أتقنها حتى رتّبها بهذا الترتيب المحكم، ثم إنها ترفض رفضا قطعيا أن يكون ترتيبها قد جاء مصادفة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع مختلفة، منها: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾[2].

[1] سورة النمل ٨٨.

[2] سورة النبأ ٦-١٦ .

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

المطلب الرابع: دليل التغير والسببية

بالنظر إلى الموجودات الكونية سواء منها المادية المحسوسة أو الخارجة عن نطاق الإدراك الحسي، فإننا نلاحظ حوادث التغير لاتنفك عنها أبدا، فدوام الحال من المحال، وكل ما له بداية لابد له من نهاية، وبين البداية والنهاية تحدث تغيرات كثيرة، وقد ضرب الله لنا الأمثال في القرآن الكريم لنرى تلك التغيرات ونلمسها وندركها جيدا، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾[2].

ب- أن التغير صفة من صفات الحوادث لأنه- كما عرفنا- أن العالم حادث وأن الحادث متغير، وبالتالي فهو إلى زوال، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

[1] سورة الفرقان ٦١-٦٢.
[2] سورة الحج ٤-٦.

وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1]، **وقال تعالى:** ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدليل بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾[3].

كل هذه الآيات ونظائرها التي لا تعد ولا تحصى صور من التغيرات الكونية الدائمة التي تتطلب في نظر العقل بسبب مؤثر تؤدي إلى معرفة الخالق عز وجل وتدل عليه.

وخلاصة الأمر إن أهم براهين القرآن الكريم على وجود الله تعالى، وإبطال قيام الكون على المادة العمياء دون غيرها ما يلي:

١- **ظهور الحياة في المادة، بدليل قوله تعالى:** ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[4].

---

[1] سورة القصص ٨٨.

[2] سورة الرحمن ٢٦-٢٧.

[3] سورة النور ٤٣-٤٥.

[4] سورة الأنعام ٩٥.

٢- برهان التناسل بين الأحياء لدوام بقاء الحياة، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، **وفي الختام نصل إلى ضرورة تصحيح العقيدة في أنفسنا وفق هذه المعطيات الإلهية؛ والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل...**

[1] سورة الروم ٢١.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

٢. أصول العقيدة الإسلامية، د. ناصر الهنقاري، دبشير الفرد، المكتبة الجامعية، الطبعة الأولى ٢٠٠٦.

٣. الإيمان والحياة – د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة عشرة ٢٠٠٢م.

٤. تبسيط العقيدة الإسلامية–حسن أيوب، دار السلام، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

٥. الجامع لأحكام القرآن، أبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الشام للتراث الطبعة الثانية.

٦. الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، الشيخ طاهر الجزائري، الطبعة الأولى.

٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار الريان للتراث القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

٨. روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة عشرة١٩٧٩م.

٩. صحيح مسلم بشرح النووي– تحقيق صلاح عويضة،دار صلاح الدين– القاهرة،الطبعة الأولى ١٩٩٧.

١٠. العقيدة الإسلامية– غبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة التاسعة ٢٠٠٠م.

١١. عقيدة المؤمن– أبو بكر جابر الجزائري، تحقيق كامل محمد عويضة، دار العنان الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.